الفصل الثالث عشر

العطاء الإسلامي في مجال التربية والصحة النفسية

١- مقدمة.
٢- أهداف التربية الإسلامية.
٣- ميادين التربية الإسلامية.
٤- أسس التربية الإسلامية.
٥- أساليب التربية الإسلامية.
٦- التربية الإسلامية والصحة النفسية.
٧- فهم علماء المسلمين للصحة النفسية.
٨- الصحة النفسية وحسن الخلق.
٩- خاتمة.

مقدمة

قدم الإسلام الحنيف بناء تربويا متكاملاً للبشرية – يحقق لهم السعادة في الدنيا، والفوز بالجنـــة ورضوان الله في الآخرة – منذ أكثر من أربعة عشر قرناً. ويتسم البناء التربوي الإســـلامي بخاصـــية فريدة تميزه عن كافة النظريات الوضعية وهي أن مصدره كتاب الله وسنة نبيه الكريم عليه الـــصلاة والسلام (وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) (٣)(٤)النجم، وهذا المصدر الإلهي للبناء التربوي الإسلامي هو الذي يؤكد صدقه وثباته المطلق، وفائدته العظمى للإنسان في الدنيا والآخـــرة معاً. وينبثق النظام التربوي في الإسلام من النظام التفسيري والرؤية الصادقة للكون والحياة والمجتمع والتاريخ والإنسان، فالله هو الخالق وهو سبحانه المنظم ومبدع الإنسان وخالقه بنوازعه وجـــوهره، ومنزل الشريعة المناسبة له والقادرة على تنظيم شؤونه، وعلى تحقيق التوازن أو التعادليـــة المعجـــزة لحاجاته الجسدية المادية والروحية والعقلية. (٣٦٧)

---

(٣٦٧) للمزيد من المعلومات حول هذه القضية ارجع إلى دراسات المؤلف بعنوان؛ الإسلام وقضايا علم النفس والمنهج الإسلامي في تفسير المجتمع،،، والكتابان صادران عن دار الشروق – جدة ١٩٨٤.

وينطلق النظام الإسلامي في التربية من الفهم الصادق لحقيقة الإنسان والهدف من خلقه وأساليب تحقيق أهدافه ومصيره في الآخرة، وهي مقدمات لابد منها حتى يستوي النظام التربوي غاية ووسيلة، ويحقق أهدافه.

فقد خلق سبحانه وتعالى الإنسان ليكون خليفة في الأرض، قال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) (١٦٥) سورة الأنعام. وقال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (٣٠) سورة البقرة. والهدف الأساس من هذا الخلق والاستخلاف كما يوضحه لنا القرآن الكريم هو:

أولاً: توحيد الله سبحانه وعبادته (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (٥٦)(٥٨)الذاريات والعبادة في الإسلام تمتد لتشكل كل ما يقصد به وجه الله من تعلم وعلم وعمل منتج وأداء مهني وحرفي وتخصصي وإصلاح بين الناس ومعاملة الناس بالحسنى وحسن الخلق.

ثانياً: تعمير الكون والتعارف بين الناس شعوباً وقبائل، قال تعالى:

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (١٣) سورة الحجرات.

ثالثاً: إقامة دين الله على الأرض وتتبع هدى الله سبحانه، الأمر الذي يتفق مع الفطرة السليمة التي خلق الله الناس عليها، قال تعالى: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٣٠) سورة الروم. وقال تعالى: (وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ* أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونِ* إِنِّي إِذاً لَّفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ* إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) (٢٢)(٢٥) يس، والإنسان المفطور على التوحيد قد تغريه الحياة الدنيا لأنه ضعيف، فهو في حاجة مستمرة للاتصال بالله وتلقي هدايته، قال تعالى (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ) (٣٨) سورة البقرة. واستجابة للدين القيم انطلاق المسلمين للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ

وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١٠٤) سورة آل عمران. وقال سبحانه؛ (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) (١٩٩) سورة الأعراف. والمسلم مطالب بالمجاهدة في سبيل إعلاء كلمة الله سبحانه ودحر الباطل وأهله (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) (٦٩) سورة العنكبوت.

رابعاً: العمل بما يتفق مع التكريم الإلهي للإنسان (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً) (٧٠) سورة الإسراء. فلا يهبط الإنسان عن مستوى الإنسانية التي استحق من أجلها التكريم الإلهي، وعليه أن ينشط في عمارة الأرض بما توحيه الآية الكريمة من حمله " في البر والبحر "، ورزقه من " الطيبات، فيستغل هذه الطاقة الممنوحة له في كل اتجاه في إطار تقوى الله ومبادئ الإسلام الحنيف. فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يدعو المؤمنين إلى إعمال عقلهم في كل اتجاه من الكون ومجتمعه وتاريخه من أجل فهم سنن الله في الكون والمجتمع والإنسان والتاريخ، وذلك لأن كل تفكير سليم سوف يسهم في إثبات عظمة الخالق سبحانه (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) (٢٨) سورة فاطر.

ولقد زود الله سبحانه الإنسان بكل إمكانيات الخلافة عن الله سبحانه وتلقي الهداية عنه قال تعالى: (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا) (٣١) سورة البقرة. وقال تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ* كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى) (١)(٦) العلق ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ* فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ) (٦)(٨) الانفطار.

من رحمة الله سبحانه بعباده أن وجههم منذ الميلاد إلى الفطرة السليمة، وأودع فيهم ميلاً طبعياً للارتباط بتوحيده سبحانه يقول النبي ﷺ: " ما من مولود إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه" (صحيح البخاري – ٤/ ١٤٤). وقال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) (١٧٢) الأعراف. غير أن الإنسان – على الرغم من فطرته السليمة – ضعيف أمام المغريات (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ) (١٦) ق. وقال تعالى: (وَالْعَصْرِ* إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ) (العصر). وقال سبحانه: لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ

أَسْفَلَ سَافِلِينَ* إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ* فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ* أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ) (٤)(٨) التين. وقال سبحانه مخاطباً الإنسان: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ* فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ* فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً* وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً(٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ* فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً* وَيَصْلَى سَعِيراً) (٦)-(١٢) الانشقاق.

والواقع أن انحراف الإنسان عن الفطرة يؤدي إلى اختلال حياة الإنسان في الدنيا وإلى عذاب السعير في الآخرة وهنا تبرز وظيفة التربية في الفكر الإسلامي الحنيف فهي المسئولة عن الحفاظ على الفطرة وتوجيه الإنسان للإيمان بالله وتوحيده فكراً وسلوكاً، وهي المسئولة عن إعداد الإنسان الصالح، وهي مستمرة باستمرار وجود الإنسان على الأرض، وقد احتلت التربية والتعليم أهمية بالغة في الدين الإسلامي: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء) (٢٨) سورة فاطر. وقال سبحانه (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) (١١) سورة المجادلة. وقال ﷺ:" من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة " (الترمذي م / ٢٨). وقال عليه السلام: " من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع " (الترمذي ٥/ ٢٩). و " طلب العلم فريضة على كل مسلم "(ابن ماجة ١/ ٨١).

وتحرص التربية الإسلامية على تحقيق التوازن والتكامل في شخصية المسلم، وفي إشباع حاجاته وميوله، فلو كان الله سبحانه يريد للبشر أن يكونوا أرواحاً خالصة أو ملائكة مجردة عن الشهود لفعل، ولو كان يري لهم أن يكونوا كالأنعام يسعون وراء الشهوة الخالصة لفعل، لكنه سبحانه خلق الإنسان من قبضة طين ونفخة من روحه سبحانه، قال تعالى: (ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ* الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) (٦)(٩) السجدة. وقال سبحانه: (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ) (٢٠) سورة الروم.

وعلى هذا فالروح والجسم في الإنسان متلازمان تتم بهما الحياة ولا يمكن إنكار أحدهما في سبيل الآخر، فلا يجوز للمؤمن بالكتاب أن يبخس الجسد حقاً ليوفي حقوق الروح، ولا يجوز له أن يبخس الروح حقاً ليوفي حقوق الجسد، ولا يحمد منه الإسراف في مرضاة هذا ولا مرضاة ذاك، يقول

تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُـمْ وَلاَ تَعْتَـدُواْ إِنَّ اللّـهَ لاَ يُحِـبُّ الْمُعْتَدِينَ* وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّباً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ) (٨٧)(٨٨) المائدة. ويقول تعالى في مجال استنكار تحريم الزينة والطيبات من الرزق التي أحلها الله لعباده: (يَا بَنِـي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ* قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالْطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (٣١)(٣٢) الأعراف. وما هو محرم حدده الله في نفس السورة وفي سور أخرى حيث قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ) (٣٣) سورة الأعراف. وأباح الله ممارسة الشهوات بالطرق التي أحلها الله (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً) (٢١) سورة الروم. ويقول سبحانه وتعالى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (١٤) سورة آل عمـران. وفي مقابل هذه الشهوات منح الله سبحانه الإنسان ضوابط للتحكم والتوجيه فيما يرضى الله (وَجَعَـلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ) (٧٨) سورة النحل، وقال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَـاكَ اللّـهُ الـدَّارَ الآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (٧٧) سورة القصص. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كـأنهم تقالوهـا فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتـزوج أبـداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال:" أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " (البخاري ٢٣٧/٣).

ونستطيع القول أن النظام التربوي الإسلامي يأخذ في الاعتبار مجموعة من الأبعاد وهي:

أولاً: تحديد الصلة بين الخالق البارئ المصور وبين الإنسان المخلوق.

ثانياً: تنظيم أمور الناس في الدنيا – علاقاتهم بعضهم ببعض سياسياً واقتصادياً وأسريا وتربوياً.. الخ – فالإنسان خلق ليعيش فترة ما في الحياة الدنيا وهو محتاج للشريعة التي تنظم له شؤونه الدنيوية وعباداته معاً.

ثالثاً: بيان كيفية تحقيق الهدف السامي من استخلاف الله للإنسان في الأرض، وأسلوب معيشته على الرقعة المكانية التي تشمل الكرة الأرضية كلها بشكل يحقق الهدف الذي خلق من أجله الإنسان الذي كرمه الله على سائر خلقه.

رابعاً: مراعاة البعد الزمني لعمر المتعلم فهو يبدأ في الدنيا ويمتد إلى الآخرة عبر مستقبل غير متناه.

ولعل فلسفة التربية الإسلامية برزت من أول سورة نزلت على الرسول ﷺ وهي، (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) (١) سورة العلق فالقراءة هنا والتعليم باسم الرب موجهة لما يرضيه، وهذه السمة ميزت التربية الإسلامية عن كل تربية سابقة أو لاحقة، فمخطط هذه التربية واضع أصولها هو الخالق، وهو المعلم، وهو المربي الذي يعرف دقائق الإنسان وقدراته الإدراكية والاستيعابية، ويجعل هدف التربية تحقيق عبودية الإنسان لله، تلك العبودية التي تحقق له العزة على كافة المستويات الأرضية. وقد اتسمت كل فلسفات التربية الأخرى بأنها تتم في أطر ضيقة كالفردية أو العائلية أو القومية او الإقليمية أو النزعة العرقية.. وهي غالباً ما تكون موجهة لخدمة أسرة أو دولة أو مجتمع محدد.. وهناك من فلسفات التربية ما أدت إلى أبشع أنواع التجارب البشرية المريرة كأسلوب التربية في إسبرطة القديمة وأساليب التربية السوفيتية، وداخل الكمبونات الصينية (والتي تحاول تجريد الإنسان من إنسانيته حيث تسعى إلى تجريده من الميول الدينية والأسرية والعاطفية، لتجعله عبداً للأرض ينتج عليها ويدافع عنها ويحيا حياة جماعية حيوانية كاملة). ولا نستطيع أن ننتاسى ما جره الأسلوب النازي في التنظيم والتربية في ألمانيا من دمار شملت آثاره العالم كله.

أما التربية الإسلامية فإنها لا تتم لصالح طبقة محددة أو باسم قومية أو مجموعة عرقية Ethnic Group أو باسم مجتمع محدد أو دولة معينة، لكنها تتم باسم الله خالق جميع البشر والأكوان ولصالح الإنسان حيثما وجد سواء في هذه الحياة الدنيا القصيرة أو في الآخرة دار الخلود. فالقراءة والتعليم والتربية كلها تتم باسم الله (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ).

أهداف التربية الإسلامية:

تبدأ التربية الإسلامية بتهذيب الفرد ضماناً للمجتمع الصالح، كما أنها تبدأ في الدنيا تحقيقاً لصالح الإنسان في الدنيا والفوز برضوان الله وجنته في الآخرة، وقد سبق أن أشرنا إلى أهم أهداف التربية الإسلامية ونعيد إيجازها فيما يلي:

أولاً: الحفاظ على الفطرة وتنميتها من خلال تعريف الإنسان بخالقه، وبناء العلاقة بينهما على أساس ألوهيته الخالق وعبودية المخلوق. قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) (٢٥) سورة الأنبياء وقال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (٥٦) سورة الذاريات

ثانياً: تشكيل سلوك الفرد وبناه – أو تغيير اتجاهاته اللفظية Verbal Attitudes، والعملية السلوكية Action – A بحيث تتسق وتتطابق مع السلوك والاتجاهات الإسلامية: (قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى* وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى* بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا* وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (١٤)(١٧) الأعلى.

ثالثاً: إعداد الفرد لمواجهة متطلبات حياته في هذه الدنيا (فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) (١٥) سورة الملك، وقال تعالى:

(وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ) (٨٠) سورة الأنبياء، وهذا هو ما يطلق عليه اليوم الإعداد المهني للحياة. حتى يكون الإنسان منتجا منجزا نافعا لنفسه وأسرته ومجتمعه وأمته.

رابعاً: بناء المجتمع الإسلامي الصالح الذي تقوم نظمه على أساس شريعة الإسلام استناداً إلى الكتاب والسنة، يقول تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) (١١٠) سورة آل عمران

خامساً: إعداد المسلمين لحمل الرسالة الإسلامية ونشرها في العالم كله حتى ينتشر الحق وتعلو كلمة الله في الأرض، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ) (٣٣) سورة التوبة وقال تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (١٠٤) سورة آل عمران.

سادساً: غرس القيم الإيمانية الإسلامية في نفوس النشء مثل وحدة الإنسانية والمساواة بين البشر (وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ) (٥٢) سورة المؤمنون، والإخلاص وإحضار النية (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ) (٥) سورة البينة، والصبر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (٢٠٠) سورة آل عمران، والصدق: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ)

(١١٩) سورة التوبة، ومراقبة الله (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ) (٥) آل عمران، والتقوى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ) (١٠٢) آل عمران إلى آخر هذه القيم كالتوكل على الله والاستقامة والمبادرة إلى الخيرات... الخ.

وهكذا نرى أن أهداف التربية الإسلامية تحقق التكامل بين الأهداف الدينية والدنيوية كما تحقق التفاعل الخلاق واللقاء الدائم بين الإنسان وخالقه، بين القلب والعقل، بين الدنيا والآخرة.

ميادين التربية الإسلامية:

يشير بعض الباحثين إلى أن ميادين التربية الإسلامية يمكن استنباطها أو استخراجها من قوله تعالى (٣٦٨) في سورة البقرة (كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ) (١٥١) سورة البقرة وقد تكررت هذه الميادين في سورة آل عمران في قوله تعالى (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ....) (١٦٤) سورة آل عمران وفي سورة البقرة آية ١٢٩، كما تكررت في سورة الجمعة في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ....) (٢) سورة الجمعة ويستنبط من هذه الآيات الكريمة أن ميادين التربية أربعة:

١- تلاوة القرآن ٢- التزكية

٣- تعليم الكتاب ٤- تعليم الحكمة

أولاً: ميدان تلاوة الآيات:

جاءت الآية في القرآن بعدة معاني، منها المعجزة، والعلامة، والبرهان والدليل على قدرة الخالق سبحانه، وأوامر الله وتوجيهاته هذا إلى جانب ما جاء في القرآن من آيات هي مكونات كل سورة من سور القرآن وعددها ١١٤ سورة. ووظيفة التلاوة إطلاق طاقات الإيمان بأركانه الستة، وضمان الولاء لله ورسوله، وفهم هداية الله للمسلمين والعمل بمتضمن هذه الهداية، وبناء الإنسان والشخصية المسلمة المؤمنة بربها، والعاملة لعمارة الأرض والإنتاج، الشخصية المنجزة المنتجة المعمرة المفيدة لنفسها ولأسرتها ومجتمعها.

---

(٣٦٨) ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية: جمعية عمال المطابع التعاونية عمان ١٩٧٨ صـ ٣٧-٥٤ .

الميدان الثاني: التزكية:

ويقصد بها تزكية النفس والعقل الروح والجسم أي تطهير هذه المكونات، والتزكية والتطهير إنما تكون بتمكن الإيمان من القلب، وبتنفيذ أوامر الله، وترك نواهيه، وبحسن الخلق وهـو مـا سـوف نفصل فيه يقول تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَـا* وَقَـدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا) (٧)-(١٠) الشمس. وإذا كانت هداية الإنسان تمر في ثـلاث مراحـل وهـي الإسلام، ثم الإيمان، ثم الإحسان. فإن أقصى درجات تزكية الـروح والـنفس والعقـل والجـسم والسلوك إنما تكون بوصول الناس إلى درجة الإحسان، وهي أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكـن تراه فإنه يراك. بمراقبة الله في الأسرة، وفي مجال العمل الاقتصادي، وفي مجـال الإنتـاج، وفي مجـال العبادات، وفي مجال التعامل مع الله، ومع النفس، ومع الناس.. هذه المراقبة هـي أسمـى درجـات التزكية وتزكية القلب بالإيمان والتقوى، وتزكية النفس والسلوك بالصدق في القول، والإخلاص في العمل وبتحمل المسئولية والجرأة في الحق، واجتناب الكذب وشهادة الزور، وتجنب النفـاق [٣٦٩] وتملق الرؤساء، والإساءة في أداء الأعمال، وحسن معاملة الناس، أو التعامل معهم بخلق حسن وبمـا يرضى الله ورسوله.

وتزكية العقل تكون بالعلم والمعرفة وإعمال العقل في آيات الله، وتحـصيل المعرفـة، وتكـون بالتفكير العقلي المنطقي وترك كل مصادر المعرفة المضللة، كالسحر والتقليد الأعمى واتباع الهـوى، واتباع الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً. وتزكية الجسم يكون بإعطاء الجسم حقـه، والاسـتمتاع بالطيبات وإشباع حاجات الجسم وتجنب النواهي. وتطلب التزكية تجنب كـل أشـكال الإفـراط والتفريط والتزام وسطية الإسلام وما يدعوا إليه من اعتدال وتوازن، وتجنب كل أشـكال الغلـو والتطرف على جميع المستويات [٣٧٠]

الميدان الثالث: تعليم الكتاب:

بعد اجتياز المسلم للميدانين الأول والثاني، يكون مؤهلاً، مستعداً لتلقي أحكـام الله وتطبيقهـا وهي توجيهات وأحكام القرآن والسنة، فتعلم القرآن الكريم وفهمه واستيعابه والعمل به هو الهدف

---

(٣٦٩) كمال إبراهيم موسى: تعريفات الصحة النفسية في الإسلام وعلم النفس: مجلة المسلم المعاصر السـنة (١٣) العددان (٥١ -٥٢) – مارس – أغسطس ١٩٨٨ صـ ١٧٨ – ١٧٩ .

(٣٧٠) نبيل السمالوطي: بناء المجتمع الإنساني ونظمه – دار الشروق – الطبعة الرابعة ٢٠٠٥ – دار الشروق جدة صـ ١٢٣ – ١٣٠

الأسمى لبناء الشخصية الإسلامية الإنسانية الوسيطة، الشخصية المنجزة المنتجة النافعة لنفسها ولأسرتها ولمجتمعها وللدولة وللإنسانية كلها.

الميدان الرابع: تعلم الحكمة:

المؤمن مطالب بتعلم الحكمة، وقد جاءت الحكمة في القرآن الكريم بعدة معاني منها (٣٧١)

١- الإتقان: يقول تعالى (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) (١) هود والمؤمن مطالب بالإتقان في العبادة، وفي مجال عمله المهني أو الإنتاجي أو الخدمي، وفي تعامله مع الأسرة والناس وحتى في مجال الترفيه والترويح البريء الذي يدعوا إليه الإسلام.

٢- الحكمة بمعنى العبرة: قال تعالى (وَلَقَدْ جَاءهُم مِّنَ الْأَنبَاء مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ* حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ) (٤) (٥) القمر والمؤمن مطالب باستيعاب الدروس والعبر من الكتاب والسنة ومن واقعه الاجتماعي ومن أسحداث التاريخ ومن كل ما يقابله.

٣- الحكمة بمعنى الحلول الفاصلة الملائمة، قال تعالى (وَلَمَّا جَاء عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ...) (٦٣) سورة الزخرف والمؤمن مطالب بالتوصل إلى حلول ملائمة منضبطة بالشرع في كل ما يقابله من مواقف أو مشكلات وأزمات.

٤- الحكمة بمعنى القدرة على التميز بين الصواب والخطأ أو بين الحق وبين مسالك الشيطان المنحرفة يقول تعالى: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ* يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً) (٢٦٨)(٢٦٩) البقرة.

٥- الحكمة بمعنى حسن الرأي والتبصر في الأمور.

٦- الحكمة بمعنى الفهم والمعرفة قال تعالى (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ) (١٢) سورة لقمان.

٧- الحكمة بمعنى حسن التقدير والإدارة والتبصر والتعرف بقوله تعالى (ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ...) (١٢٥) النحل.

وللعلماء والفقهاء أقوال كثيرة في معنى الحكمة (٣٧٢) فهذا فخر الدين الرازي في كتابه (مفاتيح الغيب) يقول إن الحكمة لا تخرج عن معنيين، هما العلم، وفعل ما هو صائب وحق، وإنها

---

(٣٧١) ماجد الكيلاني: المصدر السابق .

(٣٧٢) ماجد الكيلاني: مصدر سابق نفس الصفحات .

تنقسم إلى قسمين: حكمة نظرية وحكمة عملية. والإنسان السوي مطالـب باسـتيعاب القـسمين والعمل بمقتضاهما (٣٧٣) وهذا هو الهدف الأسمى للتربية الإسلامية.

أسس التربية الإسلامية:

وتعد التربية الإسلامية الأساس لبناء الإنسان السوي، الإنسان الحضاري، الإنسان المحب لربـه ولأسرته وللناس أجمعين. وهناك مجموعة أسس تقوم عليها التربية الإسلامية، سوف نكتفـي بمجـرد ذكرها دون تفصيل (٣٧٤):

١- التربية تحقق النمو المتكامل المتوازن لشخصية الإنسان – روحيـاً، ونفـسياً، وعقليـاً، وجسماً، وسلوكاً.. الخ.

٢- التربية الإسلامية تربية فكرية إيمانية قلبية وسلوكية معاً. فالإيمان يقترن بالعمل الـصالح في العديد من آيات القرآن الكريم (الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

٣- تحافظ التربية الإسلامية على صالح الفرد وصالح الجماعة معا ويكفي في هذا إيراد قـول الرسول عليه الصلاة والسلام فعن أنس رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال (لا يؤمن أحدكم حـتى يحب لأخيه (أو قال لجاره) ما يحب لنفسه) (٣٧٥) والمؤمن مفتاح للخير مغلاق للشر لنفسه وللناس جميعاً والآيات والأحاديث في هذا كثيرة جداً (٣٧٦).

٤- أهم ما في التربية الإسلامية أنها تنشئ الفرد على مراقبة الله في السر والعلـن، في النيـات والأفكار، في أعمال القلب والعقل والسلوك والعلاقات فالله يؤكد في القرآن الكريم (وَهُوَ مَعَكُـمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ) والمسلم يوقن أن الله (يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) (١٩) سورة غـافر، والله يقول (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَىَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ) (٥) آل عمران.

٥- التربية الإسلامية تحافظ على الفطرة السوية النقية للإنسان، وتعلي غرائـزه، وتـشبعها بالأساليب الإسلامية المشروعة. والتربية الإسلامية تفعل آية الإشهاد، تفعل الميثاق الذي أخـذه الله

---

(٣٧٣) نبيل السمالوطي: بناء المجتمع الإسلامي ونظمه: مصدر سابق صـ ١٣٤ .

(٣٧٤) لمزيد من التفصيل،،، راجع محمد منير مرسي: التربية الإسلامية: أصولها وتطورها في البلاد العربية: عالم الكتب ١٩٧٨ صـ ٥٧ – ٧٣ .

(٣٧٥) أخرجه مسلم ١ / ٦٧ .

(٣٧٦) لمزيد من التفصيل راجع: نبيل السمالوطي: بناء المجتمع الإسلامي ونظمه: مصدر سابق: الفصل الرابع .

على بني آدم، في قوله تعالى(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى) (١٧٢) سورة الأعراف.

٦- التربية الإسلامية موجهة نحو الرحمة والخير [٣٧٧] ويمكن اختصار الإسلام في مفهوم الرحمة. هذا يعني أن التربية تحاول صياغة الشخصية الرحيمة، وهذا يتضمن التقوى والعدل والمراقبة والإتقان والصدق.

٧- التربية الإسلامية تربية مستمرة [٣٧٨] ولم يتوصل التربويون إلى هذا المفهوم إلا حديثاً، فالإنسان يظل يتعلم من المهد إلى اللحد، ومع هذا لا يمكن الوصول إلى النهائية العلمية قال تعالى (وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) وعلى الإنسان إعمال عقله وفكره وحواسه، فالعلم وطلبه فريضة، والعقل وإعماله فريضة بنص قول الرسول عليه الصلاة والسلام، وهناك العديد من آيات القرآن الكريم تؤكد هذا المعني.

٨- التربية الإسلامية عالمية منفتحة، فالإسلام رحمة للعالمين، ودعوة للعلم والرحمة والإتقان والتعاون مع الجميع، يرفض كل أشكال التعصب والعنصرية والإتقان والأفضلية بين الناس لا تكون إلا بالتقوى وتحقيق المصالح الحقيقية للمسلمين ولكل الناس وحسن الخلق.

٩- التربية الإسلامية تحقق التكامل بين المحافظة والتجديد، بين الأصالة والمعاصرة. فالإسلام كما أوضحنا يتضمن مجموعة من الثوابت هي الأساس، والمرتكزات والمنطلقات لا تتغير، وهي المصالح المعتبرة [٣٧٩] كما يتضمن مجموعة أكبر من المتغيرات والإسلام يفترض التجديد، ويؤكد الرسول عليه الصلاة والسلام(أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها) [٣٨٠] فالتجديد مطلب شرعي ومطلب عقلي ومطلب واقعي وهو ضروري في ظل الثوابت التي سبق أن أشرنا إليها. ولهذا كان الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان فالتربية الإسلامية تستهدف صيانة الشخصية القادرة على تحقيق التوازن بين الثوابت والمتغيرات [٣٨١]

---

(٣٧٧) محمد منير مرسي: مصدر سابق صـ ٥٧- ٧٣.

(٣٧٨) المصدر السابق

(٣٧٩) نبيل السمالوطي: المنهج الإسلامي في دراسة المجتمع - دار الشروق - جدة - الطبعة الثانية الفصل الثاني

(٣٨٠) رواه وأخرجه أبو داود وأحمد

(٣٨١) المصدر السابق

أساليب التربية الإسلامية:

جمعت التربية الإسلامية كل الأساليب التربوية التي لم يتوصل إليها الفكر التربـوي إلا حـديثاً، وبعضها لا يتوافر في أي فكر تربوي وضعي. وسوف نكتفي هنا فقط بعرض أهـم الأسـاليب دون تفصيل (٣٨٢)

١- أسلوب القدوة الصالحة.

٢- أسلوب الترغيب والترهيب.

٣- أسلوب التوجيه بالحكمة والموعظة الحسنة.

٤- أسلوب توقيع العقاب بشكل تربوي هادف.

٥- أسلوب القصة لاستخلاص العبر والدروس.

٦- أسلوب التربية السلوكية باقتلاع Dislearning للأفكار والممارسات والـسلوكيات السيئة وإحلال المرغوب فيها وبهذا سبق الإسلام مدارس تربوية ونفـسية حديثـة مثـل مدرسـة ديناميات الجماعة Group Dynamics.

٧- استخدام الأساليب الحسية لإدخال المعلومات في عقول الناس وإقناعهم بها، ودفعهـم إلى تمثيلها عقلياً ووجدانيا، وتطبيقها سلوكيا. وقد استخدم الرسول عليـه الـصلاة والـسلام هـذا الأسلوب مع أصحابه، مثل ما حدث عندما شرح قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ....﴾ (١٥٣) سورة الأنعام.

٨- أسلوب الحوار والنقاش والجدل للاقناع، وهذا ما استخدمه جميع الأنبياء مع أقوامهم.

٩- أسلوب المحاولة والخطأ، وهو ما يتوصل إليه علم النفس حديثاً عن طريق بعض العلمـاء مثل (ثور نديك).

١٠- أسلوب توظيف الأحداث والظروف والمواقف الواقعية في مجال التربية والتعليم. وهذا ما فعله القرآن الكريم في عرضه لغزوة بدر وأحد، وحنين.. الخ.

١١- أسلوب توظيف طاقات وإمكانات واستعداد النشء والمتعلمين، وتوجيهها في مـسارات صحيحة على المستوى الفكري والاجتماعي والمهني.

---

(٣٨٢) لمزيد التفصيل حول أساليب التربية راجع علوان وراجع محمد منير مرسي: المصدر السابق وراجع نبيل السمالوطي: بناء المجتمع الإسلامي: صـ ١٤١- ١٥٥ .

١٢- أسلوب توظيف واستثمار وقت الفراغ، فيما يعد الإنسان وينمي مهاراته في إطار الضوابط القيمية الإسلامية.

١٣- أساليب تحقيق التكامل بين: (٣٨٣)

أ- العلم والإيمان.

ب- العقل والنقل.

جـ - الأفكار النظرية وتطبيقاتها العملية.

د - القدرات الاستيعابية عند المتعلم، وحجم المادة العلمية المقدمة له لفهمها واستيعابها.

هذه الأساليب التربوية لا يمكن مقارنتها بما تقدمه النظريات والأفكار والممارسات التربوية الحديثة والمعاصرة (٣٨٤) فهي أساليب قادرة على تحقيق أهداف التربية بكفاءة، بشرط تحقيق كفاءة القائمين على تطبيقها. وقد استفاد منها علماء التربية المعاصرون (٣٨٥)

التربية الإسلامية وقضية الصحة النفسية:

إن أعظم ما قدمه الإسلام في مجال التربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال وفي مجال توجيه الشباب أنه صاغ مجموعة من الأهداف والأساليب الكفيلة ببناء شخصية صحيحة نفسياً. فأساس الصحة النفسية هو الإيمان والتقوى وتمثل القيم العليا وتطبيق مكارم الأخلاق الالتزام بها.

وهناك صلة وثيقة بين بناء الشخصية الفردية وبين الصحة النفسية، وبعد تكامل الشخصية - بالمفهوم الإسلامي الذي يقوم على غرس الدوافع الإيمانية المكتسبة التي تستند إلى أساس فطري، وهو الفطرة السليمة - شرطاً ضرورياً للصحة النفسية والتوافق الاجتماعي السوي. ومن أهم العوامل التي تخل هذا التكامل غياب العقيدة السليمة التي تفسر للإنسان وجوده وحياته والكون والمصير، إلى جانب الصراعات النفسية العنيفة والموصولة - سواء الشعورية أو اللاشعورية -

---

(٣٨٣) للمزيد من المعلومات حول مبادئ التعليم في النظرية التربوية الإسلامية،، راجع ماجد الكيلاني: مصدر سابق صـ ٥٤- ٦٣ .

(٣٨٤) راجع زكريا فايد: الأسس التربوية للتغير الاجتماعي عند مالك بن نبي . عرض لرسالة حسن علي القريش رسالة ماجستير غير منشورة . كلية التربية جامعة عين شمس . وعرض زكريا فايد لها في مجلة الأمة التي تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في قطر نوفمبر ١٩٨٤ .

(٣٨٥) رضوان السيد: كتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة والمنهج التربوي الإسلامي: المحاضرة الأولى في كتاب الفكر الإسلامي الصادر عن دار المقاصد الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع وهو الكتاب الثاني لنشر أعمال مؤتمر التربية الإسلامية الذي عقد في بيروت من ١٠-١٦ جمادي الأولى ١٤٠١ وراجع أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام: دار المعارف: القاهرة ١٩٦٧ صـ٧٢ .

وترتبط الصحة النفسية أشد الارتباط بنوعية التربية وأساليبها ومضامينها. يضاف إلى هـذا أن مـن أهم سمات الشخصية المفككة غير المتكاملة – غياب الإيمان والدوافع الإيمانية، وكثرة الصراعات الداخلية والخارجية – الشعورية واللاشعورية – والعجز عن التوافق السوي مع المجتمع والآخـرين، والعجز عن العمل والإنجاز والعجز عن العطاء وعن المشاركة الوجدانية للآخرين.

وإذا استطاع الفرد أن يعيش في زحمة هذه الحياة عيشة راضية مرضية في حدود عقيدته وقيمـه وقدراته واستعداداته قيل، إنه حسن التوافق، أما إن عجز عن ذلك بالرغم مما يبذله من جهود قيل: إنه سيء التوافق Maladjusted، ويعرف سوء التوافق بأنه حالة دائمة أو مؤقتة تبدو في عجـز الفرد وإخفاقه في حل مشكلاته اليومية خاصة الاجتماعية، بشكل لا يحقق معه ما ينتظره الغير منه أو ما ينتظره هو من نفسه. وهناك مجموعة من الميادين التي تتصل بالتوافق وعدم التوافق، فهناك التوافق أو سوء التوافق المهني، والتوافق الأسري، والتوافق الـديني، والتوافـق الاقتـصادي، والتوافـق التعليمي... غير أن هذه الجوانب المختلفة تتصل بمظهر التوافق العام الذي يتعلق بمدى تمسك الفـرد بالعقيدة والقيم، وقدرته على التعامل السوي مع الآخرين وإقامة صلات راضية مرضـية، وقدرتـه على العمل، وأن يكون إنساناً منجزاً.

ولسوء التوافق العام مظاهر شتى ودرجات تختلف شدة وعنفاً وإزمانا واستعصاء على العـلاج، فقد يبدو في صورة انحراف خفيف أو سلوك غريب لا يكاد يوصف بالشذوذ، أو في صورة مشكلة سلوكية مما يعرض لكثير من الأطفال كقضم الأظافر أو التبول القـسري أو التمـرد والعنـاد، أو السرقة والكذب، كما يبدو في صورة تمرد شديد لدى المراهق أو ميلهم الشديد للانطواء. وقد يبدو في صورة أشد عنفاً كالأمراض النفسية Neuroses والأمراض النفسية المهنية والأمراض النفسية الجـسمية Psycho – Somatic والانحرافـات الجنـسية Sex Deviance والإجـرام Criminality. وأخطر ضروب سوء التوافق هو الأمراض العقلية Psychoses التي تـسمى في اللغة الدارجة بالجنون، تلك الأمراض التي تجعل الفرد غريباً عن نفسه وعن الناس، خطراً علـى نفسه وعلى الناس، مما يقعده عن العمل ويتطلب من المجتمع عزله والإشراف عليه وعلاجه.

ولسوء التوافق العام عدة أسباب بيولوجية أو نفسية اجتماعيـة Psycho- Social. فمـن الأسباب البيولوجية تلف الجهاز العصبي المركـزي Central nervous system، أو الجهـاز الغدي Glandular system، أو الاختلال الكروموزومي، أو ضعف العقـل الـشديد.. أمـا

الأسباب النفسية – الاجتماعية فإنها تتعلق بالتربية التي تفشل في مساعدة الطفل على استدماج Internalization الدوافع الإيمانية والقيم الدينية، وتفشل في تقديم القدوة الصالحة للنشء وتصيبه بالإحباطات Frustrations (وهي مشكلات وأزمات نفسية تنشأ عن وجود معوقات مادية أو جسمية أو نفسية أو اجتماعية تعترض إرضاء حاجات الفرد ودوافعه وتسبب له أزمات نفسية). وهنا يلجأ الفرد إلى الحيل الدفاعية تخفيفاً من هذه الأزمات (*) فإذا لم يوفق في ذلك لجأ إلى أساليب ومحاولات شاذة.

وإذا ما تساءلنا عن معيار السواء والانحراف نجد أن الباحثين يقدمون مجموعة من المعايير يهمنا أن نعرضها بإيجاز مع مناقشتها وعرض المعيار الإسلامي الصحيح.

أولاً: المعيار المثالي:

ويذهب أنصاره إلى أن السوي هو الكامل أو ما يقترب من الكمال. فقوة الإبصار السوية مثلاً، ليست هي الإبصار المتوسطة بل الكاملة، وهذا هو المعيار الذي يقصده أتباع مدرسة التحليل النفسي عندما يقولون: إنه لا توجد شخصية سوية. ولعل المشكلة هنا هي اختلاف الباحثين عند تحديد معيار الشخصية المثالية.

ثانياً: المعيار الإحصائي:

ويذهب أنصاره إلى أن السوي بوجه عام هو من لم ينحرف كثيراً أو إطلاقاً عن المتوسط، وهو الذي يمثل الجزء الأعظم من المجموعة وفق. منحنى التوزيع الطبيعي Normal Curve. وبناء على هذا المعيار تختلف معايير الشخصية السوية من مجتمع إلى مجتمع، ومن فترة زمنية إلى أخرى داخل نفس المجتمع، ولا يوجد معيار عام بالإطلاق. هذا إلى جانب أنه يجعل المتمسكين بالقواعد تمسكاً شديداً مثلهم مثل المتسيبين تماماً، حيث يعدهما من المنحرفين عن المتوسط الحسابي.

(*) من أهم هذه الحيل الدفاعية Defense Mechanisms،،، العدوان بكل أشكاله سواء الموجه للغير أو العدوان المزاح أو العدوان المرتد أو الإيذاء الذاتي Mnesism ،،، الاستسلام Resignation،،، الجمود Fixation،،، النكوص Rationalization الإسقاط Projection،،، التكوين العكسي Reaction Formation التعويض المسرف Over compensation،،، أحلام اليقظة Day Dreams،،، التقمص Identification راجع كتاب المؤلف: الإسلام وعلم النفس الحديث: دار الشروق: جدة ١٩٨٤ .

ثالثاً: المعيار الحضاري:

يرى أن السوى هو المتوافق مع المجتمع أي الذي يجاري قيم المجتمع وقوانينه ومعاييره وأهدافـه. ولهذا المعيار أكثر من عيب، وعليه أكثر من مأخذ. فهو يرى أن السواء هو الامتثال التـام لقـوانين المجتمع وقيمه حتى وإن كانت فاسدة (كما هو الحال في عبادة البقرة في الهند، وعبادة الطـواطم في الكثير من المجتمعات المختلفة، ومثل شرب الخمر ولعب الميسر والاتصالات الجنسية غير المـشروعة في العديد من الدول الأوروبية)، تتطلب من الفرد العمل على إصلاحها وتغييرها بدلاً من التكيـف معها. يضاف إلى هذا اختلاف معيار الاستواء والانحراف من حضارة إلى أخرى، فـوأد البنـات في الجاهلية لم يكن جريمة لأنه يتفق مع عادات العرب وتقاليدهم، والانتحار في الحضارة الغربية دليـل على اضطراب نفسي أو عقلي في حين أنه ظاهرة سوية في اليابان في بعض الظـروف، والارتيـاب الشديد وتوهم العظمة والاضطهاد التي نراها من أعراض " جنون التوهم أو العظمة " تعد سـلوكاً لا انحراف فيه عند الهنود الحمر في بعض قبائل الساحل الشمالي للمحيط الهادي.. وهذا يعني عـدم وجود معيار عام للسواء والانحراف. ولعل هذا يوقعنا في النسبية الزمانية والمكانية والثقافية.

رابعاً: المعيار السيكولوجي أو الطبي النفسي:

ويذهب أنصاره إلى أن الشخصية الشاذة هي ما كان انحرافها ناجماً عـن صـراعات نفـسية لا شعورية أو خللاً في الجهاز العصبي أو الغددي للإنسان، غير أن هذا المعيار لا يخلو من المآخذ الهامة، فقد يخلو إنسان ما من الصراعات النفسية أو الاختلالات العضوية، لكنه لا يؤمن بـالله أو يمـارس سلوكاً يغضبه سبحانه، فكيف يمكن اعتباره سوياً ؟.

خامساً:المعيار الإسلامي الصحيح:

اتضح أن العلماء يختلفون في تحديد معيار السواء والانحراف المثالي – لأنها معايير وضعية مختلـف عليها. أما المعيار الإحصائي والمعيار الحضاري فمن الواضح فسادهما. فبناء عليهما تعد المـرأة الـتي تتزوج أكثر من رجل – في بعض القبائل مثل التودا في الهند وعبادة البقرة في الهند ظـاهرة سـوية، والإقدام على الانتحار ظاهرة سوية بين بعض جماعات البوذيين في اليابان، والاتـصالات الجنـسية خارج الزواج تعد ظاهرة سوية في مجتمع ساموا الذي درسته " مارجريت ميـد "، وفي مجتمعـات الغرب وفي الكمبونات الصينية.. الخ لأنها ظواهر يمارسها غالبية السكان في تلك المناطق، ولا شـك أن هذا هراء لا يقبله عقل ولا منطق. أما المعيار النفسي فلا يمكن الاعتماد عليه لأنه قد يخلو إنسان

ما من الصراعات الداخلية ولكنه يمارس رذائل. يبقى بعد هذا المعيار الإلهي العام والشامل الذي صممه خالق الإنسان ومبدع الكون وهو الله سبحانه وتعالى. ويتمثل هذا المعيار في الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره والعمل بمقتضى مبادئ الشريعة الإسلامية وتمثل القيم الإسلامية التي تقوم على الإخلاص والصدق والاستقامة ومراقبة الله سبحانه في السر والعلن والعدل والتقوى.. وهذا المعيار عام شامل، يتضمن الإيمان والعلم والإنجاز والعمل المثمر.

مؤشرات الصحة النفسية بالمفهوم الإسلامي:

هناك مجموعة من المؤشرات التي يمكن من خلالها الحكم على شخصية الإنسان بالاستواء أو الانحراف، وبالتالي معرفة مدى ما يتمتع به الشخص من صحة نفسية.

أولاً: الإيمان الكامل اليقيني بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره:

وهذا العامل يستغرق كل العوامل التالية:

ثانياً: التوافق الاجتماعي مع الغير

بمعنى القدرة على عقد صلات اجتماعية راضية مرضية مع الآخرين قوامها التعاون والتسامح والإيثار، فلا يشوبها العدوان أو عدم الاكتراث لمشاعر الآخرين، يقول تعالى (مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) (٢٩) سورة الفتح وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (٥٤) سورة المائدة والرضا المتبادل سمة من سمات العبد المؤمن ليس فقط بينه وبين الناس ولكن بينه وبين ربه كذلك. يقول تعالى (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ* (جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ) (٧) (٨) سورة البينة ويوجهنا سبحانه إلى ضرورة إيجاد علاقات اجتماعية سوية مع الآخرين تخلو من التكبر والخيلاء (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا

فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (٨٣) سورة القصص وقال تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) (١٨) (١٩) سورة لقمان. وتتضمن خصائص عباد الرحمن كما جاءت في القرآن الكريم أسمى خصائص التوافق النفسي والاجتماعي السوي الفاضل (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا... الآيات) (الفرقان من ٦٣ – ٧٧)، ويخبرنا عليه الصلاة والسلام أن أقرب المؤمنين مجلساً منه يوم القيامة أحاسنهم أخلاقاً والموطأون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون. فهذا هو الحب بمعناه الواسع الذي يعد مؤشراً على الصحة النفسية بالمفهوم الإسلامي، الحب الواسع – حب الله وحب الرسول عليه الصلاة والسلام، وحب المؤمنين وحب الأهل وحب الجنة...

ثالثاً: التوافق الذاتي:

وهو يتمثل في قدرة الفرد على التوفيق بين دوافعه المتصارعة توفيقاً يرضيها بشكل متزن وفي إطار ما تسمح به العقيدة السمحة والتوجيهات القيمية الإسلامية. فالمسلم قادر على ضبط نفسه وضبط شهواته حتى يستطيع ممارستها بالأسلوب المشروع. يقول تعالى: (قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ... الآيات) (النور – ٣٠،٣١)، وقال تعالى في نفس السورة: (وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) (٣٣) سورة النور وقال تعالى: (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) (١٣١) سورة طه وقال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (٢٨) سورة الكهف.

رابعاً: الشعور بالسمو والعلو والقدرة على مواجهة الصعاب والأزمات والشدائد دون إسراف في العدوان أو النكوص أو محاولة استدرار العطف والرثاء للذات Self Pity، والمؤمن دائماً يشعر بالعزة، فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين. والمؤمن قوي في كل حالاته مستعل في كل الظروف لأنه خليفة الله سبحانه ويتمتع بروحه سبحانه (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ) (١٣٩) (١٤٠) سورة آل عمران

وقال تعالى: (وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ) (١٨) سورة لقمان فالمؤمن معتز بنفسه يشعر بالسمو والعلو ولكنه لا يوجه هذا الشعور للظلم والعدوان، وإنما يوجهه في الخير فهو صادق وعادل ومستقيم يراقب الله في السر والعلن، ويعترف بتكريم الله له ويحرص على أن يكون أهلاً لتكريم الله في كل سلوكه.هذا إلى جانب أن أمر المؤمن كله خير كما أخبرنا الرسول صلي الله عليه وسلم

خامساً: الشعور بالرضا والسعادة:

ويتمثل في استمتاع الفرد بالحياة بعلمه وأسرته وأصدقائه وشعوره بالطمأنينة وراحة البال والأمن في أغلب أحواله. فالمؤمن لا يشعر بالخوف على المستقبل لأن المستقبل غيب والغيب بيد الله ولا يقلق على الموت لأنه يعلم أن السبيل إلى الحياة الأبدية في جنة الخلد إن كان من المؤمنين حقاً، وهو لا يقلق على الرزق لأنه يوقن (إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) (٥٨) سورة الذاريات. ويوجهنا سبحانه إلى عدم نسيان نصيبنا من الدنيا قال تعالى (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) (٧٧) سورة القصص. ويقول تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ* وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللّهُ حَلاَلاً طَيِّبًا وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِيَ أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ)(٨٧) (٨٨) سورة المائدة ويقول تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) (١٧٢) سورة البقرة وقال تعالى: (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ* وَعَلَى اللّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَاء لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ* هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ* يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (٨)(١١) سورة النحل

سادساً: القدرة على العطاء والإنجاز والعمل:

ويقصد بذلك أن يكون للإنسان دور إيجابي في حياة أسرته، ومجتمعه حيث يقوم بالعمل أو الإنتاج المعقول في حدود ذكائه وحيويته واستعداداته، وكثيراً ما يكون الكسل والخمول والسلبية مؤشرات لشخصيات هدمها الصراعات والأمراض النفسية بشتى أشكالها. والمؤمن منتج منجز إيجابي، والإنسان كما يريده الله سبحانه قوة فاعلة موجهة مريدة وهو قوة موجبة في واقع الحياة، فهو يتأمل في مخلوقات الله يحاول استغلالها لصالحه بعد أن سخرها الله سبحانه وتعالى له، قال تعالى (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ) (١١) سورة الرعد وقال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) (١٣) سورة الجاثية، وقال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ) (١٠) سورة الجمعة.

وواجب المربي أن ينشئ المؤمنون على أساس هذا النموذج المتميز للشخصية الإسلامية، تلك الشخصية التي تقوم على أساس الإيمان والتوافق الاجتماعي والتوافق الشخصي، والخلو من الصراعات والقلق والقادرة على الصمود أمام الشدائد والقادرة على العطاء والإنجاز والعمل المثمر النافع والتي تتمثل مجموعة من القيم الموجهة التي تدور حول مراقبة الله والصدق والإخلاص والاستقامة والعدل والمساواة.. الخ.

الصحة النفسية عند علماء المسلمين:

وإذا رجعنا إلى بعض كبار علماء الإسلام، وموقفهم من قضية الصحة النفسية، نجد أن الغزالي يؤكد في كتابه (إحياء علوم الدين) (٣٨٦) إن الإنسان السوي المتوافق الصحيح نفسياً، هو الذي يحقق التوازن بين مطالب الجسم، ومطالب النفس، ومطالب الروح، وبين مصالح الفرد ومصالح الجماعة. ويتحقق التوازن من خلال تطبيق منهج الإسلام في الوسطية والاعتدال في كل شيء. والتوجيهات القرآنية عديدة قال تعالى (وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) (٦٧) سورة الفرقان وقد قسم الغزالي دوافع النفس إلى نوعين، هما دوافع الهوي، ودوافع الهدى (٣٨٧):

أ- دوافع الهوى أو بواعث الدنيا، وتتمثل في الشهوات والملذات المادية مثل حب الشهوات (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) (١٤) سورة آل عمران. هذه الشهوات أودعها الله في الإنسان لتحقيق وظائف مهمة مثل استمرار النوع، وعمارة الأرض، والتواصل بين الناس ولهذا فإن تركها كلية أمر مذموم، ويجب إشباعها باعتدال وفي إطار الضوابط الشرعية.

ب- دوافع الهدى أو بواعث الدين، وهدفها تواصل العبد مع خالقه وإشباع حاجاته الروحية، وتحسين مستوى ونوعية حياته في الدنيا والآخرة معاً. وأهم الأمثلة عليها وأعلاها حب الله ورسوله، والتوكل على الله مع الأخذ بالأسباب، وذكر الله وشكره والصبر والتوكل على الله.

---

(٣٨٦) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين – جـ ٣ دار المعرفة – بيروت بدون تاريخ .

(٣٨٧) راجع عبد الكريم العثمان: الدراسات النفسية عند المسلمين – مكتبة وهبه – القاهرة ١٩٦٣ .

وعند الغزالي أن الإنسان يميل بطبعه إلى النوع الأول من الدوافع وهي دوافع الهوى والشهوات. ويقول عن الذين يسرفون فيها ويجعلونها كل همهم (أما إذا صرف الإنسان همه في اتباع الملذات البدنية، يأكل كما تأكل الأنعام، فقد أصبح شيطانا مريداً، وانحط إلى درجة البهائم فيصير إما غمرا كثور، أو شرها كخنزير أو خزيا ككلب، أو حقودا كجمل، أو متكبراً كنمر، أو روغان كثعلب...) (٣٨٨)

ويؤكد الغزالي أن دوافع الهدى تحتاج إلى تربية وإعداد وتدريب على المجاهدة. وهدف التربية الإسلامية داخل البيت والمدرسة والمسجد، تنمية وتقوية هذه الدوافع والسيطرة على شهوات الجسد، وتوجيهها أو توظيفها فيما خلقت له. هذا هو الاعتدال الذي يحقق صحة النفس، وهو ما يعبر عنه الغزالي بالقلب السليم، وهو قلب عامر بالتقوى وبواعث الإيمان والهدى، قلب مطهر من الخبائث. أما المرض النفسي فيطلق عليه الغزالي القلب المخذول أو النفس الشقية المهمومة الخاضعة(٣٨٩) للشهوات والهوى دون ضابط(٣٩٠).

وإذا ما انتقلنا إلى ابن القيم، نجده أيضاً يؤكد على أن الصحة النفسية إنما تتحقق بالتوازن بين مطالب الجسم والنفس الروح في حدود شرع الله (٣٩١).

فالقلب الصحيح عنده ويشير إلى الصحة النفسية، هو الذي يتجنب كل شهوات تخالف ما أمر الله به، أو توافق ما نهى عنه، وبهذا تتحقق له السعادة في الدارين – الدنيا والآخرة. أما القلب الميت ويعادل عنده المرض النفسي، فهو الذي لا يعرف غير شهوات الجسد وملذاته ولو كان فيها سخط الله، فهو عبد للشياطين.

هكذا يتفق الغزالي مع ابن القيم، في أن الصحة النفسية تعني التوازن في إشباع مطالب الجسد والنفس والروح بوسطية واعتدال، وفي حدود الضوابط الشرعية. ويفيدنا هنا قول الرسول عليه

---

(٣٨٨) راجع أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين مصدر سابق صـ ٦٠ وما بعدها .

(٣٨٩) لمزيد من التفاصيل راجع الغزالي: المصدر السابق صـ ٦٠ وما بعدها .

(٣٩٠) راجع ثلاثة كتب مهمة لابن القيم وهي

أ- كتاب زاد المعاد في هدى العباد: مراجعة طه عبد الرؤوف طه . جـ ٣ مكتبة الحلبي – القاهرة ١٩٧٠.

ب- كتاب: الروح: دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٢ .

جـ – كتاب: رسالة في أمراض القلوب: دار طيبة – الرياض ١٩٨٣ .

(٣٩١) يميز الكثير من علماء المسلمين بين النفس والروح ويؤكدون أنه لا يعلم حقيقتهما إلا الله . فالروح موجودة فينا وهي من أمر الله مجهولة لنا،،، تصعد إلى بارئها بعد الموت . أما النفس فهي مستودع الطاقات والدوافع التي توجه الإنسان نحو الخير أو الشر،،، ولها ثلاث حالات و هي الأمارة،،، واللوامة،،، والمطمئنة،،، وتحتاج للتزكية والمجاهدة .

الصلاة والسلام (ينبغي للعاقل أن يكون له في النهار أربع ساعات،ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب نفسه، وساعة يأتي فيها أهل العلم يبصرونه بأمر دينه وينصحونه، وساعة يأتي شأنه ويخلوا بين نفسه وبين لذاته فيما يحل ويجمل) (٣٩٢).

الصحة النفسية في الإسلام تتضمن ثلاثة جوانب:

أ- التوازن داخل الفرد بين مطالب الجسم والنفس والروح طبقاً للمعيارية الإسلامية.

ب- تحقيق التوازن بين مطالب الفرد ومطالب الجماعة.

جـ- حسن الخلق وهو جماع الصحة النفسية كلها.

فالوسطية والتوازن والتعادلية الإسلامية هي المدخل إلى الصحة النفسية، أما الغلو والتطرف والانحراف والمبالغة فهو المدخل إلى كل أمراض النفس والجسم والمجتمع. فقد أمر رسول الله ﷺ ألا تبالغ حتى في العبادات، مع إهمال حقوق الناس. فيروي أن الرسول ﷺ قال لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما (ألم أخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل ؟ قال: بلى يا رسول الله. قال فلا تفعل: صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقاً، وأن لزوجك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً)(٣٩٣) وقال عليه الصلاة والسلام للثلاثة الذين تساءلوا عن كيفية عبادته، ثم تقالوها، أنه عليه الصلاة والسلام أخشى الناس لله واتقاهم له، لكنه يقوم وينام، ويصوم ويفطر، ويتزوج النساء، وخرج بقاعدة كبرى تعكس وسطية الإسلام (فمن رغب عن سنتي فليس مني) فالإنسان مطالب بالوسطية في إشباع حاجاته الروحية النفسية والجنسية، بالوسطية في العبادة وفي إشباع احتياجاته البدنية والدنيوية، ومطالب بتحقيق مصالحه ومصالح الجماعة التي يعيش فيها. فالتوازن مطلوب بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة فللفرد حقوقه، وللجماعة حقوقها ويجب ألا يجور أي منها على الآخر فلا ضرر ولا ضرار(٣٩٤). وروى على بن أبي طالب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال (من عامل الناس ولم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوته، وحرمت غيبته) (٣٩٥).

---

(٣٩٢) نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي: تنبيه الغافلين: دار الكتاب العربي بيروت ١٩٨٣ . وراجع كمال إبراهيم مرسي مصدر سابق صـ ١٥٨ .

(٣٩٣) رواه البخاري .

(٣٩٤) كمال إبراهيم مرسي: مصدر سابق صـ ١٥٩ .

(٣٩٥) راجع السمر قندي: مصدر سابق .

الصحة النفسية وحسن الخلق:

يمكن للناظر في آراء علماء الإسلام أن يلحظ بوضوح أن الصحة النفسية عندهم تشير إلى حالة الرضا عن الله وعن الرسول وعن الإسلام والاستمتاع بالطيبات التي أحلها الله، والتوافق مع النفس ومع الجماعة، وتوافر الدافع الفعال للإنجاز والعمل، والإنتاج لتحقيق الخير للنفس والجماعة وللبشرية كلها. ويجمع هذا كله مفهوم الإسلام عن حسن الخلق ويمكن توضيح الصلة بين الصحة النفسية وحسن الخلق على النحو التالي:

١- لخص الرسول ﷺ رسالته كلها في قوله (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) [٣٩٦] وقال تعالى لنبيه الكريم (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (٤) القلم وقال أنس رضي الله عنه (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس أخلاقاً) [٣٩٧].

٢- جاء في البخاري ومسلم وغيرهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم عندما سؤل عن الدين، وعن الإيمان، وعن البر قال: (حسن الخلق). وعندما سئل عن أفضل المؤمنين وأكملهم قال (أحسنهم خلقاً). وقال عليه الصلاة والسلام إن المؤمن ليبلغ بحسن الخلق درجة الصائم القائم. وعندما سئل عن أفضل الأعمال الصالحة التي يصلح بها أمر الدين والدنيا معاً قال (حسن الخلق)[٣٩٨] وقال ابن عباس (لكل بنيان أساس وأساس الإسلام حسن الخلق). وقال الغزالي (حسن الخلق هو الإيمان وسوء الخلق هو النفاق)[٣٩٩]

٣- يقصد بحسن الخلق التزام العبد الأدب مع ربه، ومع جسمه، ومع نفسه، ومع الناس[٤٠٠] وقد عرفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأنه (طلب الحلال، واجتناب الحرام، والتوسعة على العيال) وعرفه ابن المبارك بأنه طلاقه الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى) وعرفه الغزالي (بأن يحب الإنسان لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يكرم ضيفه، ويحفظ جاره، وأن يقول خيراً أو يصمت، تسره حسناته، وتسوؤه سيئاته،

---

(٣٩٦) رواه مالك .

(٣٩٧) متفق عليه .

(٣٩٨) للمزيد من المعرفة الموثقة الصحيحة راجع السمر قندي: مصدر سابق صـ ١٧،،، وراجع الإمام أبو زكريا بن يحيى شرف النووي: رياض الصالحين . دار المأمون للتراث – دمشق ١٩٧٦ صـ ٢٩٠ . وراجع موسى: مصدر سابق .

(٣٩٩) الغزالي: مصدر سابق صـ ٦٩ . وراجع: مرسي: مصدر سابق صـ ١٧٥ .

(٤٠٠) راجع مرسي: مصر سابق صـ ١٧٥- ١٧٦ .

ولا يؤذي أحداً، ولا يروع الناس، ولا يقول على أخيه ما يكره، ويقول الحق ولو على نفسه أو الوالـدين والأقربين، يحب العمل، ويخلص فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس) (٤٠١)

٤- لحسن الخلق مجالات وهي بإيجاز:

أ- حسن الخلق مع الله، ويعني حبه سبحانه وطاعته فيما أمر ونهي. وهذا يعني حسب كلامه حب رسوله و تطبيق سنته، والرضا بقضاء الله والقناعة برزقه، والتوكل عليه، والرجاء فيه، والخوف من عقابه وسخطه. وهذا هو ما يوجب حب الله وهذا ما يؤدي إلى حب الملائكة لحسن الخلق، ويوضع له القبول في الأرض فيكون ممن وصفهم الرسول بأنهم أقرب إليه مجلساً يوم القيامة (أحاسنهم أخلاقاً، الموطأون أكنافا، الذين يألفون ويؤلفون)

ب- حسن الخلق مع الناس يعني حب الناس والتواصل معهم ومودتهم والإحسان إليهم وحفظ حقوقهم وأسرارهم، وبسط الوجه لهم، ولين الكلام معهم.قال عليه الصلاة والسلام (إنكم إن لم تسعوا الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق) (٤٠٢). ويروى أنه أتي رجل للرسول عليه السلام وقال أوصني قال (أتبع السيئة الحسنة تمحها) قال الرجل زدني: قال (خالق الناس بخلق حسن)(٤٠٣)

جـ- حسن الخلق مع النفس يعني تزكيتها وتطهيرها من كل أمراض الحقد والحسد والنميمة والفسق، ومحاولة إشباعها بالأساليب التي قررها شرع الله، ومنعها عن المنكرات والموبقات يقول تعالى (قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا الشمس (٩)-(١٠) وقال تعالى (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (٤٠)(٤١) النازعات.

د – حسن الخلق مع الجسم، يعني حمايته وحفظه ووقايته من كل أذى؛ لأن الجسم كما يقول الغزالي : هو مطية النفس ومركبها في هذه الدنيا، ولابد من الاعتدال في إشباع حاجاته فيصح ويسلم(٤٠٤) ومن حسن الخلق مع الجسم تجميله ونظافته (فإن الله جميل يحب الجمال) (٤٠٥)، بالأساليب المشروعة والنظافة الداخلية التي حددها الرسول في قوله (خمس من الفطرة: الختان، وحلق العانة، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر، وقص الشارب) (٤٠٦). والجمال لا يقتصر على جمال

---

(٤٠١) الإمام الغزالي: إحياء علوم الدين: مصدر سابق صـ ٦٩ .
(٤٠٢) رواه البزار .
(٤٠٣) رواه الحاكم .
(٤٠٤) راجع الغزالي: إحياء علوم الدين: مصدر سابق،،، وراجع مرسي: مصدر سابق صـ ١٧٩ .
(٤٠٥) رواه مسلم .
(٤٠٦) رواه البخاري .

البدن ونظافة الثوب ولكن يمتد ليشمل جمال ونظافة النفس والقلب، والاعتدال والتزام الشرع في إشباع حاجات الجسد.

هـ- حسن الخلق مع الناس. ويتمثل في لين الجانب وأن يألف الإنسان وأن يؤلف، وأن يثق فيه الناس، وأن ينزل الناس منازلهم، وألا يعتدي على أحد، وأن يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم وأعراضهم، وأن يسلم الناس من لسانه ويده، وأن يقول للناس حسناً، وأن يكون ناصحاً للناس بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يكون مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر.

خاتمة:

والخلاصة: أن أفضل ما أهداه الإسلام للناس وللمربين وعلماء النفس والإنسانيات هو ربط الصحة النفسية بالإيمان، وربطها بالتقوى، وربطها بحسن الخلق. وبغير هذا فلا يمكننا الحديث عن صحة نفسية. فها نحن اليوم نرى جرائم ترتكب باسم الحريات المنفلتة، وحقوق الإنسان غير المنضبطة بشرع الله. ففي الغرب حتى عهد قريب كانوا ينظرون إلى الجنسية المثلية (اللواط والسحاق) على أنه مرض نفسي، لكن مع إقرار الجنسية المثلية باسم حقوق الإنسان والحريات الزائفة المنفلتة المدمرة، رفعت هذه الممارسة عند دائرة الأمراض وتم الاعتراف بها، بل وإقرارها ومباركتها داخل بعض دور العبادة في الغرب، ولا شك أن الإسلام قدم للمربين نظاماً تربوياً حكيماً يجمع بين المثالية والواقعية، يسعد الإنسان ويسعد أسرته ومجتمعه وأمته. فالتربية الإسلامية تنتج إنساناً يشع منه الأمن والسلام والإنجاز والخير والحب، لنفسه ولكل الناس.